ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal For Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

1- Asst. Prof. Dr. Susan Fadhel Kazim *

2- Asst. lect.. Fadhel Abdul Redha Haid

1- Wasit University / College of Sciences Education for Human

2- General Directorate of Wasit Education

*** Corresponding Author Email:**
fadlsray11@gmil.Com

Keywords:
German Orientalism, the city of Wasit, Kaskar, Islamic architecture

---

Article history:
Received: 16 April, 2024
Accepted: 12 Aug., 2024
Available online: 30 Aug. 2024

Wasit News in the Writings of German Orientalists

A B S T R A C T

The German school was distinguished by its devoid of religious and colonial aims, and its distance from the spirit of hostility against Islam, despite the presence of ambiguity in the understanding of Islamic history, as a result of the speculations and varying interpretations of historical events contained in Arab sources due to sectarian and sectarian conflicts and differences. The German school was also distinguished by its abundance of production and its acquisition of many manuscripts. Which influenced Eastern historical studies, and the interest of Orientalist studies in the history of Wasit was clear, as the Germans were not satisfied with what the sources contained in writings about the history of the city of Wasit, but there was interest in the results of archaeological missions. To the ruins of the ancient city of Wasit, for the purpose of obtaining new information or confirming what was written in the Arab sources about the history of the city, and to see the progress achieved by Islamic architecture at that time, which appeared in their studies on the history of the Arab Islamic state, which included writings on the history of the city. Wasit. The German orientalists were interested in identifying the real reasons for building the city of Wasit. The presence of pilgrims in the province of Iraq and the wide powers they enjoyed in administration was the most important factor in accelerating the construction of the city and making it a center for administration and conquests in the Islamic East.

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.551

أخبار واسط في كتابات المستشرقين الألمان

أ.م.د. سوسن فاضل كاظم
كلية التربية للعلوم الانسانية

م.م. فاضل عبد الرضا حايد
المديرية العامة لتربية واسط

الملخص

تميزت المدرسة الألمانية بتجردها من الغايات الدينية والاستعمارية، والابتعاد عن روح العدائية ضد الاسلام مع وجود الضبابية في فهم التاريخ الاسلامي وذلك نتيجة لما تضمنته المصادر العربية من تكهنات وتفسيرات متباينة لأحداث التاريخ بفعل الصراعات والاختلافات الطائفية والمذهبية، كذلك تميزت المدرسة الألمانية بغزارة الانتاج واقتناءها العديد من المخطوطات التي أثرت الدراسات التاريخية الشرقية، وكان اهتمام الدراسات الاستشراقية بتاريخ واسط من الوضوح اذ لم يكتف الالمان بما حوته المصادر في كتابات عن تاريخ مدينة واسط ، وانما كان هناك اهتمام بنتائج البعثات الأثرية لأطلال مدينة واسط القديمة، لغرض الحصول على معلومات جديدة أو تأكيد ما دون في ثنايا المصادر العربية عن تاريخ المدينة، والاطلاع على ما وصلت إليه العمارة الاسلامية من تقدم في ذلك الزمان و التي ظهرت في دراساتهم عن تاريخ الدولة العربية الإسلامية التي تضمنت كتابات عن تاريخ مدينة واسط واهتم المستشرقون الألمان في الوقوف على الدواعي الحقيقية لبناء مدينة واسط وكان وجود الحجاج في ولاية العراق وما تمتع به من صلاحيات واسعة في الادارة العامل الأهم في تعجيل بناء المدينة واتخاذها مركزاً للإدارة والفتوح في الشرق الاسلامي.

الكلمات المفتاحية : الاستشراق الألماني، مدينة واسط، كسكر، العمارة الإسلامية

المقدمة:

لعبت مدينة واسط أهمية كبيرة في تاريخ العراق ، إذ امست عاصمته الإدارية بعد انتقال الولاية اليها بدلاً عن الكوفة والبصرة، وصارت مقصداً لطلاب العلم والساعين للمعرفة، فضلاً عما امتلكته المدينة من موارد اقتصادية على المستوى الزراعي والتجاري خلال العصور الإسلامية المنصرمة.

ان دراسة المدينة برؤية استشراقية هو من المواضيع المهمة التي تحتاج الى مزيد من الدراسات ، لذلك ارتئينا قراءة تاريخ واسط من وجهة نظر المستشرقين الألمان، لما تميزت به هذه المدرسة منها أن المستشرقون الألمان على الأغلب لم تسيطر عليهم مآرب سياسية، ولم تستمر معهم أهداف

التبشير طوال مسيرتهم في دراسة الشرق، ولم يتصفوا بروح عدائية ضد الاسلام والحضارة الاسلامية ودرسنا مدينة واسط بنظر المستشرقين بمبحثين، الأول تناول الاستشراق الألماني الملامح والبدايات، وجهود المستشرقين الألمان في تحقيق المخطوطات، والمبحث الثاني موارد المستشرقين في الحديث عن تاريخ مدينة واسط من طريقين هما التنقيبات الأثرية، ودراسة تاريخ واسط من خلال المصادر الأولية .

المبحث الأول

الاستشراق الألماني الملامح والبدايات

أولاً : الاستشراق الألماني

ان أهم ما ميز مدرسة الاستشراق الألماني هو غزارة الانتاج ، اذ قال احد الباحثين "ان مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والانكليز معاً"(المنيع، ٢٠٠٩، ص٣٩٧) وهناك ميزات اخرى ظهرت على الاستشراق الالماني منها :

١ . تجرد عن الغايات الدينية والاستعمارية ، فلم يكن للألمان نشاطات دينية تبشيرية في الشرق ولم يسجل التاريخ استعمار الألمان للبلدان العربية أ و الاسلامية .

٢ . ابتعد الألمان عن روح العدائية تجاه العرب والمسلمين على الرغم من الاختلاف بالآراء في نظرتهم للإسلام والقرآن الكريم ، انما رافقت دراسات الأغلب منهم الاعجاب والانصاف تجاه تاريخ الاسلام والمسلمين .(المنجد، ١٩٧٨، ص٧)

٣ . غنى المكتبات الألمانية بالمخطوطات والمصادر العربية والاسلامية .(المنيع، ٢٠٠٩، ص٣٩٨)

ثانياً : البدايات الاولى للاستشراق الألماني

كانت البدايات الاولى متمثلة في محاولات دراسة اللغة العربية باعتبارها المدخل للدراسات الاستشراقية فلا يمكن دراسة تاريخ بلد ما، الا بعد أن تتقن لغة ذلك البلد ، ومن هذا المنطلق ظهرت البدايات الاولى كما ذكرها المنجد بقوله "أن اول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل كريستمان(**مستشرق ألماني ولد سنة ١٥٥٤م اهتم بتدريس العربية ووضع فهرساً مختصراً لمجموعة من المخطوطات التي اقتناها أحد النبلاء الألمان وترجم كتاب الفلك للفرغاني(ت ٣٤٧هـ/٨٦١م) عن النص العبري الى اللاتينية، عين استاذاً في جامعة هايدلبرك فاقترح انشاء كرسي للدراسات العربية لبحث الفلسفة والطب من مصادرها العربية توفي سنة ١٦١٣م(الساموك ، ٢٠٠٩، ص١٢٠)**)، فقد ألف كتيبا لتعلم كتابة الحروف العربية، لكن الرائد

الأول الذي وقف حياته كلها على دراسة اللغة والحضارة الاسلامية هو رايسكة **(هو مستشرق ألماني ولد من عائلة فقيرة امتهنت الدباغة في ٢٥ كانون الأول سنة ١٧١٦ في قرية تسوربج في مملكة سكسونيا وحصل على دراسته الثانوية في ميتم مشهور في مدينة هالة وبقى فيه من سنة ١٧٢٨م الى سنة ١٧٣٢م وبدأ دراسته الجامعية سنة ١٧٣٣م في جامعة لايبرج وشرع في دراسة اللغة العربية بنشاط كبير وأخذ يسعى الى شراء كل ما وقع في يده من كتب عربية مطبوعة رغم فقره وتوفي سنة ١٧٧٤م(المنجد، ١٩٧٨، ص١٥،١٦)** "(المنجد، ١٩٧٨، ص٧).

وربما كانت البدايات الحقيقية مطلع القرن الثامن عشر ، اذ سعى مجموعة من الألمان لتعلم اللغة العربية في الجامعات الألمانية(أمير، ٢٠١٤، ص٦) ، ثم انشأت مدرسة للغات الشرقية في برلين سنة ١٨٨٧م ، وحوت مكتبة عامرة بالمخطوطات العربية، وعمل المستشرقين الألمان على اصدار مجموعة من المجلات، وأنشأوا المكتبات الغنية بالمجلدات العربية ومن هذه الجمعيات والمجلات :

١ . الجمعية الألمانية للدراسات الاسلامية، التي أسسها مارتن هارتمان (١٨٥١ ـ ١٩١٨م)، وأصدر لها مجلة عالم الاسلام سنة ١٩١٣م(أمير،٢٠١٤، ص٧) .

٢ . الجمعية الشرقية الألمانية التي أسسها فلايشر (١٨٠١ ـ ١٨٨٨م) في مدينة هالة عام ١٨٤٥م(أمير،٢٠١٤، ص٧)

٣ . المجلة الشرقية الألمانية، تأسست في مدينة فيسبادن سنة ١٨٤٧م(أمير،٢٠١٤، ص٧).

٤ . مجلة الاسلام ، وقد انشأها الوزير كارل هينريش بيكر (١٨٧٦ ـ ١٩٣٣م) لصالح الجمعية الشرقية الألمانية سنة ١٩٢٠م(أمير،٢٠١٤، ص٧) .

٥ . مجلة اسلامكا ـ اسلاميات ، وقد أنشأها فيشر في مدينة لايبرج سنة ١٩٢٠م (أمير،٢٠١٤، ص٧).

ثالثا : جهود المستشرقين الألمان في تحقيق المخطوطات

ان تاريخ الامة الاسلامية مليء بالحروب والمحن والغزوات أدى بالنتيجة الى ضياع ألاف المخطوطات العربية تقدر بثلاثة ملايين مخطوط ، وبذلك ضاعت ثروة علمية وفكرية لا تقدر بثمن ومن ذلك ما قاله اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨م) من ضياع نتاجه ومقتنياته من الكتب بقوله "وهون علي سلامة أولادي وأولاد أخي ، وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال إلا ما ذهب لي من الكتب، فأنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فان ذهابها حزازة في قلبي ما عاشت"(منقذ، بلا، ص٣٥) .

ومن هنا يأتي دور المستشرقين في جمع المخطوطات العربية بوسائل شتى كان له الأثر الكبير في حماية التراث الفكري العربي من الاندثار والضياع، وتميز الألمان عن غيرهم بانهم اتبعوا الوسائل

الشرعية في اقتناء المخطوطات من خلال الشراء أو الاهداء، وبذلك دخلت كميات كبيرة من المخطوطات العربية الى حوزة المكتبات الألمانية، ومثال ذلك المستشرق ويلهم بوستل **(ولد في باريس سنة ١٥١٠م وعني بدراسة اللغتين اليونانية والعبرية ، أرسله شارل الأول ملك فرنسا في بعثه الى الشرق لشراء المخطوطات الشرقية سنة ١٥٣٤م وقد لقي ترحاباً من السفير الفرنسي بتركيا وأثناء اقامته هناك تعلم اللغة التركية والعبرية(مهملي، ٢٠١٩، ص٣٧)** الذي باع بسبب ضائقته المالية مخطوطات الى مكتبة هايرلبرج التي صارت فيما بعد نواة للدراسة الاستشراقية في ألمانيا وكذلك البروفسور هينرش بيتر**(بيتر فون هولشتيني دانماركي ولد في ١١ ايار ١٧٥٨م وتوفي في ٢١ تشرين الثاني ١٨١٣م(Bustani،١٩٥٦،ص٢٦٣)** من الذي باع بحدود ألف مخطوط الى مكتبة برلين**(مكتبة برلين الملوكية عدد مجلداتها ١٤٥٠٠٠٠ مجلد فيها ٣٠٠٠٠ من المخطوطات بينها مخطوطات عربية كثيرة(زيدان، ٢٠١٩،ص٢٣)** (أمير، ٢٠١٤، ص١٣) .

ذاع صيت المستشرقون الألمان في ميدان جمع المخطوطات العربية ونشرها وفهرستها، اذ ان هنالك في ألمانيا سبعة ألاف مكتبة تابعة للبلديات وأكثر من ذلك من مقتنيات الكنائس، وتعد مكتبة برلين الوطنية ومكتبات جامعات توبنجين وهايدلبرج وماينس من أكثر المكتبات اقتناء للمخطوطات الشرقية، وبالخصوص العربية منها، وقد حوت مكتبة المانيا الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية على ٥٠٦٦ مخطوطة (أمير، ٢٠١٤، ص١٣)، ومن ذلك يتبين ما قدمه الألمان لحفظ التراث العربي من الضياع .

المبحث الثاني

موارد المستشرقين في الحديث عن تاريخ مدينة واسط

ان خوض غمار أي بحث لابد ان يستلزم وجود مصادر أولية وأخرى ثانوية تأكيدا لفرضيته وتعزيزاً لمصداقيته وبناء على ذلك انقسمت تلك الموارد الى:

اولاً- البعثات الاثرية:

الرحالة الذين زاروا العراق خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر ومن بينهم الضابطين البريطانيين اورمبسي**(ضابط بحرية بريطاني في الهند بعث في مهمة استطلاع نهري دجلة والفرات لاربع سنوات(١٨٢٦ ــ ١٨٣٠م وقدم دراسته الى تايلور الذي حولها الى بغداد حيث درسها الضابط الانكليزي جسني فيما بعد (عبد الطالب، ٢٠١٠، ص٢١١)** و اليوت خلال عام ١٨٣١ م لم يقدما تفاصيل عن المعالم الاثرية في المدينة، اذ ان المهمة التي كلفا بها كانت تدور حول

استكشاف مجرى نهري دجلة و الفرات (خورشيد وآخرون، ١٩٩٨، ص١٠١٠٧)، وجهود كل من ان ر.كولديج و ر. مورتيز بعد انهاء أعمال التنقيب الاثرية بمدينة بابل ما بين عامي ١٨٨٦-١٨٨٧م، بعد ان توجها لمدينة واسط للبحث و التنقيب فيها، و قد وثقا لنا بعض من تلك التحريات للبعثة التي انتهت بتوصلهما لكون المسار القديم الجاف لفرع نهر دجلة بالإمكان تتبعه لبضعة أميال إلى الأدنى من طريق كوت العمارة، و يستمر بالجريان نحو الجنوب الشرقي عبر خرائب، لمدينة واسط ثم يتابع جريانه في الاتجاه ذاته، حيث حمل اسم شط إبراهيم و يلتقي بنهر الفرات بين شط الحي والقرنة، و بناء على ذلك فان هذا المسلك كان هو دجلة الأصلي في العصور الماضية وعلى ضفافه تقع واسط، وذلك كون مساحته شاسعة، وكثرة الخرائب على جانبي مجرى النهر، وأن هناك بقايا أثرية لمبان ذات قباب تتفق طرزها مع نمط طراز البناء المقبب في العهدين الأموي والعباسي(خورشيد وآخرون، ١٩٩٨، ص١٠١٠٧-١٠١٠٨).

وفي النصف الأول من القرن العشرين باشر المنقب والآثاري كيبل ارشيبلد كاميرون كريزويل (Keppel Archibald Cameron Creswell) **(كريزويل : اكاديمي و اثاري ولد في ١٣ من شهر سبتمبر عام ١٨٧٩م بمدينة لندن، و بعد اتمامه تعليمه الابتدائي بمدرسة وستمنسر ، و خلال هذه المدة طور مهارته الكبيرة في فن الرسم و الرياضيات اذ كان لذلك اثر كبير في اعتماده الدائم على مقاييس الابعاد كأساس في تحرياته المعمارية و بيان الخصائص الهندسية في المباني ، اهتم كريزويل بالعمارة الإسلامية منذ عام ١٩١٠ و امضى حوالي ثلاث أعوام لدراسة العمارة الشرقية و في عام ١٩١٣ قدم ورقة بحثية الى الجمعية الملكية الاسيوية حول القباب الاسلامية و نال استحسان و ثناء المعنين بالعمارة الإسلامية، و بعد زيارته للشرق عمل استاذاً محاضراً في جامعة فؤاد بمدينة القاهرة ، ثم أستاذا جامعياً في قسم الفن و العمارة الإسلامية، ثم عضواً في المجلس الأعلى للحفاظ على الاثار العربية، ثم انتقل الى الولايات المتحدة الامريكية و امضى بعض الوقت بجامعة برينستون، ثم عاد للعمل في الجامعة الامريكية في القاهرة، و لما حل عام ١٩٧٣ كان كريزويل في الأشهر الأخيرة من حياته حيث توفي ٨ من شهر نيسان عام ١٩٧٨م .(شيرين لبيابيدي، ٢٠١٨، ص ٦٢-٦٧)** .

بدراسته للأثار والعمارة الإسلامية بعد الاقتراح الذي قدم اليه من قبل دائرة الاثار للبحث ضمن مكانين من العصور الإسلامية، فاقترح المنطقة الممتدة ما بين مدينتي واسط والكوفة، والدافع او المحرك على ذلك انه أراد البحث عن اقدم المساجد الإسلامية، و بعد البحث و التقصي تبين له ان من بين أولى تلك المساجد التي بنيت كان بمدينة واسط على يد الحجاج(كريزويل، ١٩٨٤، ص٦٣).

وفي خضم حديثه حول موقع المدينة القديمة قال: "**واسط اليوم مكان مهجور تبعد حوالي ٢٥ ميلاً عن كوت العمارة و ليس فيها أي سكان، انها تسمى المنارة لان فيها بناء قديماً يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر، ذو مدخل على جانبيه مئذنتان، و قد اظهر تفحص المنطقة ما بدا و كانه ملعب كرة تنس غائر، وبعد التنقيب ظهر انه صحن المسجد و تبلغ مساحته ١٠٢,٨م٢. وبعد تقدم الحفريات التي امتدت باتجاه الجانب القبلي (الخلفي) من الجامع، ولكن لسوء الحظ لم اكتشف دار الامارة**"(كريزويل، ١٩٨٤، ص٦٣).

و بعد مدة من الزمن عاود البحث و التنقيب في المنطقة ليتبين له و اتضح ان المسجد الذي اكتشف بني على انقاض مسجد اخر اقدم منه نحو الجنوب الغربي بدلاً من التوجه باتجاه مكة بصورة مباشرة، وكان الفرق ثلاث و ثلاثون درجة، و استطاع من خلال تلك الحفريات تحديد مساحة الجامع بما يزيد عن ١٠٠م٢، و من بين الأمور الأخرى التي كشف عنها في تحريه للموقع ان عثر على ثمانية عشر عموداً على الجانب القبلي، وبين رفاقه المنقبين معه في البعثة ما تعلق بالمحراب المقعر، اذ اكتشف المنقبون انه يعود لأيام الوليد بن عبد الملك لما أعاد بناء جامع المدينة و وسعه ما بين عامي (٨٩-٩٠ هـ / ٧٠٧-٧٠٩م)، ومن بين الأمور الأخرى التي بينتها البعثة الاثارية ان بعضاً من الأحجار التي بني منها الجامع اخذت من المسجد القديم، اما المواد التي استخدمت في البناء فكانت من الآجر و الجص الأحمر، و بعد الانتهاء من اعمال التنقيب ضمن هذا الموضع ، راودت كريزويل الرغبة للقيام بعملية تنقيب حول دار الأمارة ، ليتكشف بعدها ان دار الامارة كانت تقع خلف جدار المسجد القبلي، و تحدث عن ذلك الاكتشاف بقوله :"**و بعد الحفر وجدنا ان الجدار الخلفي للمسجد امتد الى اليمين و اليسار و انتهى ببرج على شكل ثلاث ارباع الدائرة فوق قاعدة مربعة مساحتها ٨,٢٠م٢ ، و بهذا يبلغ الطول الإجمالي ٢٠٨,٨ متراً ، ... وللأسف لم تستمر الحفريات و لكنا نعرف من المصادر ان دار الامارة ذات أربعة (ثلاثة؟) مداخل رئيسية يفتح كل منها على شارع عرضه ٨٠ ذراعاً ولها قبة خضراء، ربما توضعت في وسط البناء والتي بالإمكان رؤيتها من مسافات بعيدة والتي تسببت في تسمية البناء ((القبة الخضراء))**"(كريزويل، ١٩٨٤، ص٦٥)

ثانياً- تاريخ واسط من خلال المصادر الأولية:

تناول المستشرقون تاريخ واسط من خلال المصادر الأولية العربية لكنهم امتازوا بأسلوب كتابتهم للأحداث والتساؤلات التي تم زجها مع طرح افكار من خلال تحليل النصوص، ومن هؤلاء المستشرقين الألماني يوليوس فلهاوزن(**ولد يوليوس فلهاوزن في عام ١٨٤٤م في مدينة هاملن في سكسونيا السفلى على نهر الفيزر وكان أبوه قسيساً لتلك البلدة الريفية، درس اللاهوت منذ**

عام ١٨٦٢م في جوتنجن وفي عام ١٨٧٤ نال درجة الدكتوراه في اللاهوت وفي عام ١٨٧٦م بدأت سلسلة الأعمال الكبيرة في أبحاث العهد القديم والديانة الاسرائيلية وفي عام ١٩٠٢م أصدر كتابه تاريخ الدولة العربية وانهيارها واهتم بالشعر العربي والأحاديث والروايات العربية المتوارثة وألم بالأنساب العربية كمحدث عربي(المنجد، ١٩٧٨، ص١٠٧، ١٠٩) الذي أشار الى صراع اهل الشام وأهل العراق، وأن العراقيين قد خسروا جولة من ذلك الصراع اثناء انتقال الخلافة من الكوفة الى دمشق، اذ قال "**أما الآن فقد نزل شأن بلادهم، فصارت مصراً من الأمصار، وخرج من أيديهم ما كانت تدره البلاد التي فتحوها من خيرات، وأصبح لابد لهم ان يقنعوا بفتات الأعطيات التي تتساقط من مائدة سادتهم"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٥٨)، ثم يعود فلهاوزن مستعرضاً الثورات التي قام بها العراقيين والتي اشترك فيها الجميع بدون استثناء، فهم موحدون ضد عدوهم وقال في ذلك "كانت اعنف الثورات على الأمويين تأتي من جانب أهل العراق، لا من فريق معين ، بل من جانب جميع العرب المقيمين هناك لأنهم كانوا مجتمعين لمن غصبهم اياها"(** فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٥٨) .

وأشار أن هذه المعارضة العراقية ضد الأمويين قد استثمرت الجانب الديني في صراعها ومنحت الشرعية لتلك الثورات، اذ قال "**جندوا الدين ومبدأ الحق والعدل في محاربتهم للقوة الغاشمة وهكذا حالفت المعارضة الدين على الدولة الأموية**"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٥٨) ، ثم بين فلهاوزن اهمية اختيار ولاة ذا حنكة سياسية من توفير مستلزمات القوة والسيادة الحربية على العراق، وأضاف كان من الضروري اختيار مكان جديد كعاصمة للعراق تراعى فيه الظروف الأمنية اللازمة، وجلب جنود من خارج العراق يكونوا أكثر ولاءاً، لذلك أنشئت مدينة واسط لذلك الغرض وكان ذلك في قوله "**فكان لابد للدولة دائماً من عمال ذوي حنكة ممتازة لإلزام تلك الولاية الجامحة حدود الهدوء والطاعة ، على انه يمض الزمن اصبح ذلك غير مستطاع إلا نتيجة الجند المحليين وباجتلاب جنود احتلال من أهل الشام وبإقامة سيادة حربية بالمعنى الحقيقي، لم يكن مقرها في العاصمة القديمة للبلاد، بل في مدينة جديدة حصينة انشئت لغرض السيادة عليها**"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٥٨) .

وذكر أسباب اخرى دعت الحجاج لبناء واسط منها التنافس والصراع بين جند الشام وجند العراق، فكانت الدولة الأموية تفرق بالعطاء بين الجند الشامي وباقي الأجناد وبالخصوص جند العراق الذين لم يقنعوا بأعطيات قليلة، اضافة الى ذلك ارسال الحجاج جند العراق الى حملات بعيدة وابقاء الجند الشامي قريباً من الحجاج، لذلك اراد ان ينشأ مدينة له ولجنده الشامي تكون اكثر اماناً وأشد قوة، وأضاف سبب آخر هو مضايقة الجند الشامي للسكان في الكوفة والبصرة كقولة "**ويقال أنه فعل**

ذلك لكي يتلافى ارتكابهم للمفاسد في الأحياء التي يقيم فيها الناس في الكوفة والبصرة"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٢٤١) .

وحدد فلهاوزن سنة (٨٣ هـ/٧٠٢م) بناء مدينة واسط وجعلها مدينة محصنة تقع في منتصف الطريق بين الكوفة والمدائن و الأهواز والبصرة، وجعلها مركزاً للحكومة ونقل اليها جند الشام وقال في ذلك مبيناً السبب الأساس لبناء المدينة اذ قال "**يظهر أن السبب الاكبر هو انه اراد ان يعزل جند الشام عن أهل العراق ويجعلهم حوله ليكونوا اداة طيعة تحت يده، ونقل مقر اقامته هو من وسط الجماعة الى مركز قيادة حربي**"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٢٤١ـ ٢٤٢) ، أي أن الغرض الأساس من بناء المدينة هو الجانب العسكري، لإحلال الأمن والسيطرة على ولاية العراق .

حدد المستشرق الألماني كارل بروكلمان(**ولد بروكلمان في عام ١٨٦٨م لعائلة ميسوره من طبقة التجار في مدينة روستوك وقد أعزى ميوله العلمية لأمه التي عرفته بكنوز الأدب الألماني وظهرت موهبته في اللغات في المدرسة الثانوية وعرف اللغة الأرامية والسريانية والتحق بجامعة روستوك عام ١٨٨٦م ودرس اللغات الكلاسيكية والتاريخ الى جانب الاستشراق ودرس اللغات العربية والأثيوبية والتركية والسنسكريتية والأرمنية ودرس الحضارة المصرية القديمة وتوفي عام ١٩٥٦م(المنجد، ١٩٧٨، ص١٥٣)** نفس العام الذي ذكره فلهاوزن وهو سنة ٨٣هـ وبين ان سبب بناء المدينة هو الثورات في البصرة والكوفة وذلك بقوله "**فبنى سنة ٧٠٢م مدينة جديدة دعاها(واسط) على منتصف الطريق بين الكوفة والبصرة المدينتين الثائرتين أبدا وجعلها معقله وقاعدة حكمه**"(بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٦)، ولذلك فان الحجاج لم يسمح للعيش في واسط لغير الجند الشامي والاتراك الذين جلبوا من ما وراء النهر كأسرى حرب أو منفيين اثناء الفتوحات في تلك البلاد وأشار بروكلمان الى اهمية تلك المدينة وأنها استمرت في تألقها حتى في زمن العباسيين بعد أن انتقلت العاصمة الى بغداد(بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٦) .

وبعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان(٦٥ـ٨٦هـ/٦٨٤ـ٧٠٥م) وانتقال الخلافة الى الوليد بن عبد الملك(٨٦ـ٩٦/٧٠٥ـ٧١٥م) استمرت مكانة الحجاج لديه بل على العكس فاقت من قبله لوقوف الحجاج مع الوليد ضد خصومه، وبالخصوص عبد العزيز بن مروان الذي سعى لخلافة أخيه في الحكم(بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٦) .

ذكر المستشرق الألماني فرانز روزنثال(**من أساتذة جامعة بيل له العديد من الآثار منها فلسفة افلاطون في العالم الاسلامي ١٩٤٠م، وأثر الصوفية في اليهودية العربية١٩٤٠م، والانتحار في الاسلام ١٩٤٦م، والوهابية في مصر ١٩٤٧م(مراد، ٢٠٠٦، ص٦٠٨)** اشكالية في ورود تسمية واسط قبل بناءها من قبل الحجاج وذلك في رواية مفادها "**روى سهيل بن ذكوان أبو السندي عن**

عائشة وزعم انه لقيها بواسط ، وهكذا يكون الكذب . فموت عائشة كان قبل أن يخط الحجاج مدينة واسط بدهر"(العسقلاني، ٢٠٠٢، ص٣٩٠ ـ ٣٩١) ، واتهام سهيل بن ذكوان كان بسبب أن عائشة قد ماتت سنة ٥٨هـ وهي بذلك سبقت بناء مدينة واسط من قبل الحجاج بأكثر من عشرين عام، ولم يذهب روزنثال الى رأي آخر، ألا وهو وجود تسمية واسط قبل قيام الحجاج في بناء مدينته.

وكان من العوامل التي ساعدت الحجاج في بناء مدينة واسط ومن ثم العمل على تطوير المدينة وتحسين الأداء الحكومي، هو ثقة الخلافة الأموية وبالخصوص في زمن عبد الملك بن مروان ومن بعده الوليد بن عبد الملك، اذ قال المستشرق فلهاوزن فيه "**ترك الحجاج يتمتع بكامل سلطانه، بل كان ينصاع له ويستجيب الى رغباته حتى في دائرة اختصاصه كخليفة**"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٢٤٣) ، ومما ذكره كمثال على ذلك عندما كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة المنورة لجأ اليه بعض الفارين من ظلم الحجاج للرعية وبالخصوص أهل العراق بدون وجه حق، ولما وصل الخبر الى الحجاج ارسل الى الوليد كتاباً ذكر فيه "**ان مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة، وأن ذلك وهن في سلطان الدولة**"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٢٤٣) .

لم يهتم الخليفة الوليد(٨٦ـ٩٦/٧٠٥ـ٧١٥م) الى رسالة عمر بن عبد العزيز والي المدينة(٨٦ـ٩٣هـ/٧٠٥ـ٧١١م)، بل على العكس من ذلك، طلب من الحجاج ان يرشح له رجلين لولاية مكة والمدينة، فأشار عليه بخالد بن جرير القسري الذي ولاه مكة وبعدها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة وولى عليها عثمان بن حيان المري بإشارة من الحجاج بن يوسف الثقفي، وذلك سنة ٩٣ او ٩٤ هجرية (فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٢٤٣) .

وذكر المستشرق ت.ج ـ يور قيام الحجاج بتعريب الدواوين في واسط من الفارسية الى العربية (دي يور،١٩٩٨، ص٩)، وبين بروكلمان الأعمال الاصلاحية التي قام بها الحجاج في سبيل انعاش البلاد منها اصلاح قنوات الري والاستمرار بإدامتها واصلاح السدود، ومنع الحجاج الهجرة من الريف الى المدينة من أجل المحافظة على التوازن في الأيدي العاملة بين الريف والمدينة (بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٦)، واهتم بالتجارة وذكر ذلك "**وأقام التجارة على قواعد من الطمأنينة والثقة بإصلاح نظام النقد ونظام الموازين والمكاييل والمقاييس**"(بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٧) .

وبعد مجيء سليمان بن عبدالملك(٩٦ـ٩٩هـ/٧١٤ـ٧١٧م) للخلافة الاموية الذي عرف بنقمته على الحجاج، إلا انه لم يستطع عزله عن ولاية العراق أو مواجهته، وذلك لما كان يتمتع به الحجاج من قوة ونفوذ، ولم يستطع إلا أن يصب غضبه على عماله، أو من ساهم في توليتهم ومنهم عامل

المدينة عثمان المري الذي عزله سليمان بمجرد اعتلائه منصب الخلافة، أما عامل الحجاج على خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي(٨٦ـ٩٦هـ/٧٠٥ـ٧١٥م) حاول أن يستبق مصيره فأعلن الثورة على سليمان إلا أن جنده تمردوا عليه وبالخصوص بني تميم فوثبوا عليه وقتلوه(بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٧) .

وبعد وفاة الحجاج سنة ٩٥(هـ/٧١٣م) أرسل سليمان بن عبد الملك ألد أعداء الحجاج يزيد بن المهلب الى واسط، لكي يستطيع ان ينزل انتقامه باتباع الحجاج فولى الخراج عاملاً آخر لحساسية ذلك المنصب وما لبث ان اختلف معه يزيد بن المهلب بسبب امتناعه عن تلبية مطالب يزيد المالية ونقله الى خراسان (بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٤٧) .

أشار بروكلمان الى ان واسط كانت المعقل الأخير للأمويين بعد الانتصارات التي حققها العباسيون، وذلك دليل على أهمية المدينة وتحقق الغرض الذي بنيت من أجله ألا وهو الجانب السياسي والعسكري، ولم يتمكن العباسيين من دخول المدينة إلا بعد ان اضطر ابن هبيرة ومعه أهل الشام الى التفاوض مع العباسيين بعد أن جاءه نبأ مقتل مروان بن محمد، واستمرت المفاوضات أربعين يوماً بعد حصار دام أحد عشر شهراً(بروكلمان، ١٩٦٨، ص١٧٠) .

إلا أن فلهاوزن ذكر بأن الحصار دام أحد عشر شهراً بدون مواجهة وذلك قد يكون فيه شيئاً من المبالغة في وقت الحصار واستمراره لتلك المدة مع ما ذكرته المصادر من حصول شقاق وفتنه بين اليمانية والقيسية وهذا ما ذكره فلهاوزن بقوله "**ولم يكن الاتحاد سائداً بين أهل المدينة المحصورين، وتشاجرت اليمن ونزار(اي مضر وربيعة)**"(فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٥٢١) ، وبعد أن وضع العلماء شروط تسليم المدينة ، ومنح الأمان الذي كتب بالاتفاق بين الطرفين، إلا أن العباسيين لم يفوا بالأمان وقتلوا جميع القواد بما فيهم ابن هبيرة بعد أن صادروا ما في أيديهم من أموال (فلهاوزن، ١٩٦٨، ص٥٢١) .

الخاتمة:

- تبين من خلال ثنايا البحث أن هنالك ضعف في الدراسات الإستشراقية لمدينة واسط وذلك لعدم وجود دراسات مستقلة بتاريخ المدينة وجاء ذكرها ضمنياً في كتابات المستشرقين التي تناولت تاريخ الدولة العربية الاسلامية .
- اعتمد أغلب المستشرقين الألمان على المصادر العربية في مواردهم عن تاريخ مدينة واسط وامتازوا باسلوب نقل الروايات ومناقشتها وبحث الأسباب والنتائج التي ترتبت عليها .

- جاء بناء مدينة واسط واستقرار الحجاج بن يوسف الثقفي فيها لأسباب سياسية وعسكرية بالدرجة الأولى، دفعه بذلك التمردات و الثورات التي قامت في العراق معارضة لسلطته وحكمه.
- كان لأقلام المستشرقين الألمان وجهودهم الأثر المميز في إظهار تاريخ المدينة على المستوى العالمي لما لها من أهمية في التاريخ الإسلامي .
- لم تكن التنقيبات الأثرية أقل شأناً من دراسة المدينة من خلال المصادر العربية الاسلامية مع الحاجة الى تقدم اكثر في تلك الجهود، فما زالت أطلال المدينة القديمة بحاجة الى كشف حقائق جديدة عن تلك المدينة التي حكمت نصف الدولة العربية الاسلامية وكان لها الدور الأهم في نشر الاسلام من خلال الفتوحات في الشرق .

المصادر والمراجع:

ابن منقذ ، اسامة بن مرشد بن علي ،(ت٥٨٤هـ) (بلا).الاعتبار ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر.

بروكلمان ، كارل. (١٩٦٨). تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي ، ط٥ ،دار العلم ، بيروت.

بسيوني ، فؤاد أفرام ، (١٩٥٦) . موجز دائرة المعارف ، لجنة التأليف والنشر، القاهرة .

دي يور ، ت.ج ، (١٩٨١) . تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي ، ط٥ ، دار النهضة ، بيروت .

روزنثال ، فرانز (١٩٨٣) . علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، سوريا .

زيدان ، جرجي ، (٢٠١٩) . تاريخ آداب اللغة العربية .

الساموك ، سعدون ،(٢٠٠٩) . الاستشراق في الدراسات الاسلامية اهدافه ومناهجه .

عبد الطالب، ابراهيم ،(٢٠١٠) . انهيار جدار عرب المشرق ، دار المنهل .

عبدالله ، رائد أمير .(بلا) المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الاسلامية .

العسقلاني، ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد ، (ت ٨٥٢هـ) (٢٠٠٢) .لسان الميزان ، ط١ ، دار البشائر الاسلامية .

فلهاوزن ، يوليوس ،(١٩٦٨) تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية ، ط٢ ، ترجمة محمد عبد الهادي ، مراجعة حسين مؤنس ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة .

ك. كريزويل ، (١٩٨٤) . الاثار الإسلامية الأولى، نقله الى العربية عبد الهادي عبلة دار قتيبة دمشق.

لبيابيدي ، شيرين ،(٢٠١٨) . التراث المعماري العربي الاسلامي في دراسات المستشرقين (العصر الأموي ـ كريزويل انموذجاً) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد التراث العلمي.

مجموعة مؤلفين ، (١٩٩٨) . موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير باسيت، ر، هارتمان، مراجعة حسن حبشي وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفني .

المنجد ، صلاح الدين ،(١٩٧٨) . المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت .

المنيع ، ناصر بن محمد بن عثمان ،(٢٠٠٩) . اثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية عرض وتحليل ، حولية مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، العدد السادس .

مهملي ، أسامة ،(٢٠١٩) . موقف الاستشراق الألماني من التراث العربي الاسلامي زيغريد هونكة انموذجاً ، اطروحة دكتوراه منشورة في جامعة جيلالي ، كلية الآداب ، الجزائر.